

اسهامات (الشيعة) في الحركة القومية العراقية^(١)

في البداية اود ان اوضح نقطة هامة وهي ان الحركة القومية والناصرية في العراق لاتعترف بالطوائف والمذاهب والمحاصصة وما الى ذلك، وان عنوان المقالة هي مجازية بناءً على رغبة استاذنا الكبير الدكتور محمد سعيد الطريحي لذا وجب التنبيه.

ولابد من الحديث أولاً بأن التيار القومي والناصري في العراق لم ينظر الى مذهب الانسان المنتمي لهذا التيار ابداً، وهناك حالات أخرى لم تلتفت يوما الى الدين ايضا في طريقة الكسب والانتماء، والشهيد المسيحي اسماعيل هرمز دفع حياته لعروبة العراق واستشهد ضمن تداعيات محاولة الشهيد العقيد عبدالوهاب الشواف عام ١٩٥٩، وبالمقابل الاخوة المنتمين الى التيار القومي والناصري في العراق دخلوا ضمن قناعتهم الكاملة بأن العراق عربي ودفعتهم روح العروبة للتحرك ضمن هذا التيار لخدمة العراق العظيم.

واذا كان لابد من كتابة تاريخ الامة العربية وتاريخ القومية العربية بشكل تفصيلي، فان اقرب الطرق لتوثيق هذه الدراسة هو دراسة تاريخ النجف الاشرف قبل اي شيء، فكتاب وشعراء وادباء وعلماء النجف الافاضل خير من كتب ودافع عن العروبة والقومية العربية ابتداءً من بداية القرن الماضي ولهم اسهاماتهم الكبيرة في التضامن والتبرع بالمال والسلاح الى المناضلين في جبال الاطلس في المغرب او جبال الاوراس في الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي وكذا دعمهم لثورة شيخ المناضلين عمر

^(١) تفضل الصديق الدكتور جمال السامرائي بهذا التذييل المفيد مع مجموعة من صور الرئيس الراحل جمال عبد الناصر التي التقطت له مع شخصيات عراقية، سيأتي نشرها في قسم الصور، شاكرين للصديق الكريم هذه الإضافة القيمة.

المختار ضد الاحتلال الايطالي منذ عام ١٩١١، وانتهاءً بالتطوع في القتال في فلسطين ابان صدور قرار التقسيم واستشهاد العدد الكبير منهم..

❖ البداية:

يمكن تحديد ان نؤكد ان دخول (الشيعية - ان صح التعبير) الى التيار القومي العقائدي جاء ضمن حزب الاستقلال بقيادة الاستاذ الكبير محمد مهدي كبة وخصوصا بعد اجازته العلنية عام ١٩٤٦، ولو ان هناك عشرات الشخصيات المستقلة ذات النفس العروبي والقومي سبق هذا التأسيس الا انني اذكر هنا المنتمين الى تنظيمات قومية وناصرية بعدئذ.

كانت النجف الاشرف مركزاً سياسياً كبيراً اضافة الى كونها مركزاً دينياً واشاعاً حضارياً كبيراً، وكان رجالات العشائر العربية يتوافدون سرا الى النجف لتوحيد صفوفهم ضد المحتل البريطاني بعد ان اعلنت النجف الاشرف تأييدها لثورة العشرين ومقاومتها المحتل البريطاني خصوصاً العلامة الشيخ محمد تقي الشيرازي.

ولما كانت النجف مدينة عروبية (كما يصفها استاذنا الكبير أحمد الحبوبي) فانها احتضنت التنظيم السياسي القومي المتمثل في حزب الاستقلال، فانتمى غالبية النجفيين اولا لهذا الحزب لما يمثله من صدق عروبي واضح بالرغم من وجود احزاب اخرى حينها كالوطني الديمقراطي والاحرار، وهكذا ولد اول تنظيم قومي كبير في بيئة شيعية (ان صح التعبير) وخصوصاً كان على رأس هذا الحزب شخصية وطنية معروفة ولها مكانة كبيرة في المجتمع العراقي هو الاستاذ محمد مهدي كبة، وبالمقابل كان هناك الشهيد فؤاد الركابي الذي اسس الخلايا الاولى واصبح الامين القطري الاول لحزب البعث العربي الاشتراكي، وبالرغم من تأسيس عدد كبير من النوادي السياسية والثقافية في العراق اهمها نادي المثني والاهالي والجوال وغيرها من المؤسسات (القومية) في الاربعينات وكان أكثرية المنتمين لهذه النوادي هم من الشيعية (ان صح التعبير)، وعرف بعض قادة هذه النوادي لاحقاً ضمن مؤسسات التيار القومي، مثل الاستاذ كبة الذي كان نائباً لرئيس نادي المثني وغيرها، وهنا اصبح الاستاذ احمد الحبوبي مسؤولاً عن

فرع حزب الاستقلال في النجف الاشرف اضافة الى اعضاء آخرين امثال الشيخ احمد الجزائري ومحمد حسين المرقم ومحسن البهادلي وآخرون.

وفي عام ١٩٥٦ واثناء العدوان الثلاثي على مصر العروبة تفجرت شرارة انتفاضة شعبية في النجف الاشرف قادتها شخصيات سياسية وعلماء دين افاضل للوقوف مع الشقيقة مصر، وكان رد فعل الحكومة قاسيا بضرب الانتفاضة واستشهد من استشهد، وفي القاهرة التي كانت تقاتل العدوان الثلاثي ببسالة، اكد الزعيم الخالد جمال عبدالناصر شكره وتقديره لاهل النجف بالذات وقال : ان الدماء التي سالت في بورسعيد كانت هناك دماء تسيل في النجف من اجل العروبة والوطنية والتقدم، وبعد انتهاء هذه الانتفاضة المباركة التي ادت الى زيادة الوعي القومي ظهور بعض الشباب الذين جاهدوا وشاركوا في هذه الانتفاضة ممن سيكون لهم دور سياسي كبير في العمل وتأسيس أحزاب وتنظيمات قومية لاحقا أمثال الاستاذ أمير الحلو والاستاذ عبدالاله النصراوي وآخرون.

❖ مع الضباط الأحرار:

كان ابناء الجنوب (الشيعة ان صح التعبير) يدخلون مؤسسة الجيش العراقي ضباطا ومراتب ووصلوا الى اعلى المناصب وحصلوا على درجة الاركان، منطلقين من حرصهم على العراق وعروبتة، مضحين بدمائهم من اجل سيادة ووحدنة عروبة العراق، وحين بدأ الشهيد رفعت الحاج سري بتأسيس خلال الضباط الاحرار وهم على ارض فلسطين الغالية، بدأ كسب الضباط (الشيعة) ليس بسبب انتمائهم لمذهب آل البيت (عليهم السلام) وانما بسبب وطنيتهم العالية وشرفهم العسكري الكبير المتفاني من اجل اداء الواجب، وهكذا كانت طلائع العراق تزحف يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ لانهاء حكم الملكية الى الابد.

برز من بين الضباط الاحرار الضابط الكبير الاستاذ ناجي طالب الذي عرف بدماثة خلقه وادبه ووطنيته الصادقة، وكان الاستاذ ناجي بحق عراقياً وطنياً لم يفرق ابدا طيلة عمله كعسكري او كرئيس وزراء لاحقا بين ابناء وطوائف وقوميات العراق

بل كان وحدويا في سلوكه وعقله وقلبه وضميره.

❖ التنظيمات القومية والناصرية في العراق:

في عهد الرئيس الراحل عبدالسلام عارف الذي لم يكن طائفيا في يوم من الايام (بشهادة جميع من عمل معهم) فقد كان اقرب الناس اليه (من الشيعة) مثل مرافقه الراحل عبداللّٰه مجيد والذي استشهد معه في حادثة الطائرة المدبرة، ورئيس تشريفاته في القصر الجمهوري الاستاذ عبدالجبار الهداوي وكذلك مصوره الاستاذ علي عبدالامير النحفي، لم يعترض عبدالسلام طيلة فترة حكمه على اية شخصية شيعية رشحت لاية مؤسسة او وزارة ابداً، وانما كان (الشيعة) يتبوّون مناصبهم السياسية والقضائية بحكم كفاءتهم ووطنيّتهم وعروبتهم قبل اي شيء وكان جل الوزراء في عهدي عبدالسلام وشقيقه عبدالرحمن من اخواننا الشيعة وكانوا من أكفأ العناصر ومن خيرة ابناء العراق ولا بد من الاشارة هنا الى العلاقة الحميمة والاخوية التي كانت تربط عبدالسلام عارف واركان حكمه بالشيخ الخالصي الكبير.

ولابد ايضاً من ذكر عدد كبير من الشخصيات القومية التي شاركت في بناء الدولة العراقية من خلال مؤسساته، واذكر منه الاستاذ ناجي طالب محط اعجاب كل الوطنيين ولحد اليوم، والاستاذ محسن الحبيب والاقتصادي الكبير عبدالحسن زلزلة وعبدالصاحب علوان وعدد كبير من الكوادر التنظيمية والذين اصبحوا اليوم في مركز قيادية، خدموا العراق بمحبة خالصة ضمن عراق متحرر وموحد.

وبعد فشل تجربة الجمهورية الاولى وسقوط حكم عبدالكريم قاسم عام ١٩٦٣ بدأت الاحزاب والتنظيمات القومية بالظهور العلني، وكان اهمها حينها حركة القوميين العرب التنظيم القومي الكبير الذي قاده ابطال وابناء العراق البررة امثال الاستاذ سلام احمد وامير الحلو وعبدالله النصراوي مع رفيقهم العتيد الشهيد باسل الكبيسي، وكان هذا التنظيم واسع الانتشار.

ثم تأسس الحزب العربي الاشتراكي والذي رأسه الاستاذ الراحل عبدالرزاق شبيب وكان اعضاء المكتب السياسي في هذا الحزب هم الاستاذ السيد احمد الحبوبي

والاستاذ الدكتور مالك دوهان الحسن والاستاذ توفيق المؤمن والاستاذ عباس الجابري والدكتور عبدالعال الصكبان (لاحظ اسماء هذه القياده العروبية واتجاهاتهم للتأكيد على عروبة شيعة العراق) وتأسس ايضاً حزب الوحدة بقيادة الاستاذ صبحي عبدالحميد وقد ضم الحزب عدد كبير من الوطنيين والقوميين العراقيين (عسكريين ومدنيين).

وفي ١٤ تموز ١٩٦٥ تأسس الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق ووجهت الدعوة الى ١٦٠٠ الانتماء لهذا التنظيم الكبير وقد تم انتخاب اعضاء الهيئة القيادية للاتحاد الاشتراكي العربي في العراق وكان ضمنهم الاساتذة فؤاد الركابي وعبدالله النصراوي واحمد الحبوبي والسيد عبدعلي محمود (من كربلاء) اضافة الى قيادات العمل القومي الناصري في العراق.

وبعد ذلك تأسس في العراق تنظيم جديد هو تنظيم الطليعة العربية والتي اشرف عليها بشكل مباشر عبدالناصر والذي كان له فروع كثيرة في الاقاليم العربية، وكان من بين قيادتها في العراق الاستاذ محمد علي سباهي والعقيد الركن فيصل شرهان العرس اضافة على عدد من الضباط والمدنيين بقيادة الاستاذ صبحي عبدالحميد.

وبقي قسم من الحركة الاشتراكية العربية ذات النفوذ الواسع في العراق بقيادة الشهيد فؤاد الركابي (الذي ترك البعث منذ بداية الستينات وفضح ارتباطاته المشبوهة)، ويعتبر الشهيد الركابي المنظر الاول للفكر القومي صاحب المشروع النهضوي في العراق.

وثناء رحلة النهاية للشهيد الركابي اسس تنظيمًا سريًا (وهو قابع في السجن) من عدد من العناصر الكفوءة خارج السجن، وكان منهم الاستاذ سعد القريسي والاستاذ عبدالرزاق الحسيني والاستاذ فارس القريشي اضافة الى الاستاذ زيدان خلف (الامين العام للحزب القومي الناصري الموحد حالياً) ومن كوادره هذه التنظيم من الشباب حينها الدكتور موسى الحسيني (الامين العام للحزب القومي الديمقراطي حالياً).

والحزب الاشتراكي الذي اسسه الراحل رشيد محسن كان من كوادره القيادية حينها الاستاذ لطفي عبدالرحيم.

وشكل الاستاذ معاذ عبدالرحيم حزب الشعب الاشتراكي واصدر بيانه الاول
نهاية عام ١٩٦٦.

وكانت اكبر الخلايا التنظيمية القومية في محافظات الجنوب في الناصرية والعمارة
وبصرة، وكان تنظيمنا القومي العربي في محافظة ميسان يقوده الشهيد غازي رمضان
الذي استشهد بعد عام من اعتقاله بسبب مشاركته في الانتفاضة عام ١٩٩١، ويقوم
التنظيم اليوم عدد من الكوادر العربية وعلى رأسهم الاستاذ صبيح الكاظمي، وقد
كنت انا في فترة ما مسؤولا عن الاتصال بخلايا العمارة، عن طريق الاستاذ علي
كشيش اللامي شاعر العمارة الكبير والذي كنت مسؤوله لاكثر من ربع قرن.

واريد ان اتحدث هنا عن الخلايا النشيطة في البصرة الفحاء فكان تنظيم حزب
الوحدة من اكبر التنظيمات وخصوصا بين شباب الجامعة، وكان مسؤولهم حينها
الاستاذ رياض القبان ويساعده سعيد الامارة، وكان من جيل الشباب الواعدين حينها
من العناصر النشيطة والواعية الاستاذ جاسم معروف والبروفيسور الدكتور هيثم الناهي
(الاكاديمي المعروف).

كتبت هذه على عجلة بناء على طلب الاستاذ الدكتور محمد سعيد الطريحي وان
كل مذكرته اعلاه موجود ضمن وثائق الحركة القومية والناصري في العراق في مكتبنا
الاعلامي ونضعها كلها بيد الباحثين، وهو غيض من فيض اذا لايمكن كتابة اسهامات
(الشيعية) والتي هي اكبر بكثير من هذه الصفحات القليلة وهم طليعة الفكر القومي العروبي
في العراق، ومرة أخرى أؤكد بأن الفكر القومي العربي والناصري في العراق يقفز فوق
الطائفية وان هؤلاء القادة لم يختاروا الانتماء الى الفكر القومي من خلال طائفتهم وانما من
خلال وطنيتهم وعروبتهم فكانوا خير رجال وخير ممثلين لآل البيت الاطهار...

د. جمال السامرائي

مسؤول مكتب الاعلام القومي الناصري في العراق